ضرورة تحقيق التفاعل

بين الفكر العربي والفكر الأوربي

مع توحيد المصطلح العلمي كقاعدة النظر في المعجم العربي

الدكتور صفاء خلوصي
كلية التربية (بغداد)

1 — اللغة رهينة بالاوضاع السياسية ، فمتى كانت الامة قوية عظيمة متحدة زاد الاقبال على لغتها وادبها فالمشكلة الاولى مشكلة سياسية ، اما المشكلة الثانية فتتعلق بعدم الدعاية للغتنا ، ففي فترة قصيرة استطاع اليهود احياء اللغة العبرية ، الميتة وبعثها من جديد ، فأخذت تنافس لغتنا التي ازدهرت عبر عصور طوال سحيقة ، وذلك في الكليات والجامعات الاوروبية والاميريكية التي تقوم بتدريس اللغات الشرقية وفي مراكز تدريس الادب المقارن في شتى ارجاء العالم ؛ ولقد كان بامكاننا ان نفتح مدارس لتدريس العربية في مختلف بقاع الدنيا لنشر الثقافة العربية على نحو مايفعل المجلس الثقافي البريطاني British Council والمؤسسات الثقافية الفرنسية والروسية مثلا، وقدمرت فترة كانت فيها الباكستان تفكر في جعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية لانها لغة الدين الاسلامي الذي تامت على اساسه دولتهم ؛ فلم نحرك ساكنا ولم نقدم يد المعونة والتشجيع فافلتت الفرصة من ايدينا.

اما الحروف العربية فليست بمشكلة على ما يزعم كثير من المتنطعين المتمسكين بالقشور ، بل انني اعتقد ان الحروف العربية يجب ان تكون سببا مهما من اسباب انتشار اللغة العربية ، وذلك لجمالها وفرط اعجاب الاوربيين بها وكونها ضربا من ضروب الاختزال الذي يقبل على تعلمه الكثيرون في بلاد الغرب .

ان الدعاية الادبية هي وحدها التي تنقصنا .

اما مؤسساتنا الثقافية في الخارج فهي ككثير من سفاراتنا العربية مع الاسف ضعيفة في تمثيلها للبلاد العربية سياسيا وثقافيا على حد سواء ، وقد آن للجامعة العربية ان تعيد النظر في هذا الامر ، فليت هذه النفقات الطائلة التي تبذلها الدول العربية من العملات الاجنبية الصعبة وغير الصعبة تنفق على سفارة ثقافية عربية نشيطة واحدة في اوربا واخرى في امريكا على ان تؤلف من عناصر كفأة لا تعين على اسس غير اسس الجدارة والاستحقاق .

2 — اما في خصوص المشكلات التي تعترض سير اللغة العربية فاني اعتقد انني اجبت في السؤال الاول على جانب من هذا السؤال ، ولكنني اضيف هنا الى ما ذكرت ان من جملة المشكلات التي تعترض سير العربية هي **مشكلةتعقيد «النحو العربي»** الذي يثبط عزيمة الكثيرين من المبتدئين — ولا سيما الاوربيين — الذين يحاولون تعلم العربية ، وقد قمت شخصيا بوضع طريقة جديدة لحل هذه المعضلة في ما اسميته « **بالنحو المنطقي** » الذي نشرت خلاصة خطوطه العريضة في مجلة الاستاذ التي تصدرها كلية التربية بجامعة بغداد ، وبوسعي ان اضع كتبا جديدة في النحو العربي على الاسس المذكورة في المقال، لنشرها في العالم اجمع ، لتكون في متناول العرب وغير العرب ممن يرومون ان يمرنوا شفاههم على موسيقى اللغة العربية الساحرة ، وبامكاننا ان نترجم كتب النحو المنطقي هذه الى شتى لغات العالم لكيلا تبقى حجة لاولئك الذين يقولون بأنهم يحجمون عن تعلم العربية لصعوبة قواعد لغتها .

3 — ان اللغة العربية صالحة للتدريس الجامعي ، وقد مارست التدريس بها لربع قرن في جامعة لندن وبيل وبغداد فلم اجد مصاعب ذات بال تعترض سبيلي ؛ ولم اجد فكرة عبرت عنها بلغة اجنبية وعجزت العربية عن التعبير بها بنفس المرونة والقوة فاللغة العربية مطواعة دقيقة وهي في نظري

لا تقل دقة عن الفرنسية ، اللغة التي يعتبرها فريق من العلماء ادق واضبط لغة فى الدنيا ، كل ما فى الامر وجوب **اعادة النظر فى معاجمنا وقواميسنا** وكتابتها باسلوب عصري جديد واستكمال نواقصها واخراجها من قالبها الكلاسيكي الذي لم تعد له ضرورة بعد أن انتقلت اللغة العربية من لغة الشعر البحت الى لغة تجمع بين الشعر والنثر معا ، فلا لزوم لجعل القواميس على طريقة القوافي التي لا تنفع غير الشعراء وتعقد الامور بلا طائل .

4 — ان العربية صالحة للتدريس والبحث الجامعي كما قلت ، اما المشكلات التي تعترض الاساتذه فأهمها مشكلة عدم **لحاق المترجمين بنقل الكتب الاوربية الحديثة الى العربية فى حينها** ليحدث تفاعل آني بين الفكر العربي والاوربي وليعطي نشاطا جديدا ، ثم ان الاهتمام **باصدار معاجم للمصطلحات العلمية متفق عليها فى جميع البلاد العربية** يكاد يكون معدوما او فى حكم المعدوم ، والى ذلك فان الكتب الجامعية العربية ليست بنفس الوفرة كالكتب الجامعية الاوربية ، حتى فى مواد الادب العربي والتاريخ الاسلامي . صحيح أن المصادر كثيرة فى هاتين المادتين ، ولكن المؤلفات الجامعية العصرية قليلة او نادرة . خذ مثلا على ذلك « تاريخ الادب العباسي » المادة التي اقوم بتدريسها فى جامعة بغداد ، فليس هناك كتاب واحد بمستوى جامعي يعتمد عليه فى هذا الموضوع . لماذا يهمل المؤلفون حتى موضوعات تراثهم القومي ؟ هذا ما لا يمكنني فهمه ! ولقد قمت مؤخرا بترجمة الفصول التي كتبها البروفسور نكلسن فى تاريخ الادب العباسي سدا لجانب من هذا الفراغ ، مع الشروع بتأليف كتاب جديد فى الموضوع ؛ ولكن القضية كان ينبغي أن تبدأ قبل هذا بعهد طويل ، فأنت واجد فى تاريخ الادب الانكليزي مثلا عشرات الكتب ، فلا تتولاك الحيرة فى البحث عن كتاب فى الموضوع قدر ما تتولاك الحيرة فى المفاضلة بين عشرات الكتب هذه ، رغم أن تاريخ الادب العربي اقدم من تاريخ الادب الانكليزي بما لا يقل عن عشرة قرون .

5 — ان المصطلح العلمي يشكل فى نظر الكثيرين اهم مشكلة تعترض نمو اللغة العربية ، ويمكن التخلص من هذه المشكلة بتشكيل لجان دائمة لوضع المصطلحات وجمعها فى معاجم وقواميس واحياء بعض المعاجم التي وضعت فى بعض الاقطار العربية ولم يقيض لها الانتشار ، فمثلا هناك « المعجم العسكري » الذي وضعه المرحوم عبد المسيح وزير (وطبع طبعة محدودة) بعد وفاته ، وقد جمع بين دفتيه ما ينوف على الـ 12 000 كلمة وعمل فيه من سنة 1922 الى سنة 1942 ، ومع ذلك فهو مجهول عند الكثيرين من المعنيين بالمصطلحات وتعريبها .

وبوسعنا ان ننقل المصطلحات الاجنبية باحدى طريقتين : اما بترجمتها ، اي نقل معناها ، او بتعريبها اي نقلها لفظا ومعنى ؛ بعد تحويرها اذا اقتضى الامر — حسب مزاج لغتنا ، ولسنا بدعا بين الامم فى هذا الشأن ، فقد فعل الاوربيون الشيء ذاته فى القرون الوسطى يوم كانت العربية هي السائدة كلغة للعالم المتمدن يومذاك ؛ اذ ترجموا مثلا كلمة « جيب » العربية فى المثلثات الى كلمة Sine المشتقة من لفظة Sinus اللاتينية التي تعني « الجيب » ، ولكنهم اخذوا لفظة « الجبر » حرفيا فقالوا Algebra ، وفعل نفس الشيء اجدادنا يوم نقلوا التراث اليوناني الى العربية ، فقالوا : « الارثماطيقي » (الحساب) وجيومطريا (الهندسة) وقاطاغورياس Kategoria (وكانوا يترجمونها احيانا بالقياس) وانالوطيقا (البرهان) وارطوريقا (الخطابة) وما الى ذلك مما هو مذكور فى المظان العربية القديمة .